

التبيان في تفسير القرآن

(34) اِ تَعَالَى دَعَاةً، لَان الْيَهُود يَقْرُون بِنُبُوْتِهِ، وَكَذَلِكَ النَّصَارَى، وَكَثَرِ الْاَمَم. وَقِيلَ:
مَعْنَى " وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ " أَيْ اجْعَلْ مِنْ وَلَدِي مَنْ يَقُومُ بِالْحَقِّ، وَيَدْعُو إِلَى الْاِ،
وَهُوَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اِ عَلَيْهِ وَآلُهُ) ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَهُ " مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، بِأَنْ يَفْعَلَ مَعَهُ مِنَ
الْإِلْطَافِ مَا يَخْتَارُ عِنْدَهُ الطَّاعَاتِ، لَان الْجَنَّةُ لَا يَثَابُ فِيهَا إِلَّا بِالِاسْتِحْقَاقِ. ثُمَّ قَالَ " وَلَا تَخْزِنِي
يَوْمَ يُبْعَثُونَ " أَيْ لَا تَفْضَحْنِي بِذَنْبٍ، وَلَا تَعِيرْنِي يَوْمَ يُحْشَرُ الْخَلَائِقُ. وَ (الْخَزْيُ) الْفَضِيحَةُ
وَالْتَعْيِيرُ بِالذَّنْبِ بِمَا يَرُدُّعُ النَّفْسَ، يُقَالُ: خَزِيَ خَزِيًّا. وَأَخْزَاهُ اِ إِخْرَاءً، وَهَذَا مَوْقِفُ خَزِي.
وَهَذَا الدَّعَاءُ مِنْهُ (ع) إِنْقِطَاعُ مِنْهُ إِلَى اِ تَعَالَى، لَانَا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْقَبَائِحَ لَا تَقَعُ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ عَلَى حَالٍ. ثُمَّ وَصَفَ الْيَوْمَ الَّذِي يُبْعَثُ فِيهِ الْخَلَائِقُ بِأَنَّهُ " يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ " فِيهِ " مَا لَ "
فِيْفَادِي بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنَ الْعِقَابِ " وَلَا " يَنْفَعُ " بَنُونَ " يَنْصُرُونَهُ " إِلَّا مَنْ أَتَى " أَيْ وَإِنَّمَا
يَنْفَعُ مَنْ يَأْتِي " اِ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ " أَيْ سَلِيمٍ مِنَ الْفُسَادِ وَالْمَعَاصِي، إِنَّمَا خَصَّ الْقَلْبَ بِالسَّلَامَةِ،
لَانَهُ إِذَا سَلِمَ الْقَلْبُ سَلِمَ سَائِرُ الْجَوَارِحِ مِنَ الْفُسَادِ، مِنْ حَيْثُ أَنَّ الْفُسَادَ بِالْجَارِحَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا
عَنْ قَصْدٍ بِالْقَلْبِ الْفَاسِدِ فَانْ اجْتَمَعَ مَعَ ذَلِكَ جَهْلٌ، فَقَدْ عَدِمَ السَّلَامَةُ مِنْ جِهَتَيْنِ، وَقِيلَ: سَلَامَةُ
الْقَلْبِ سَلَامَةُ الْجَوَارِحِ، لَانَهُ يَكُونُ خَالِيًا مِنَ الْإِصْرَارِ عَلَى الذَّنْبِ. وَحَكِيَ أَنَّهُ سَأَلَ اِ تَعَالَى أَنْ
يَغْفِرَ لِأَبِيهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ مِنَ الضَّالِّينَ، قَالُوا: إِنَّمَا سَأَلَ اِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَرْطِ
تَقْتِضِيهِ الْحِكْمَةَ. وَهُوَ أَنْ يَتُوبَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ عَدُوٌّ اِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ ضَالٌّ
يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَافِرٌ، كَفَرَ جَهْلٌ لَا كَفَرَ عُنَادًا. وَقِيلَ: أَنَّهُ إِنَّمَا دَعَا لِأَبِيهِ لِمَوْعِدَةٍ وَعَدَهُ بِهَا، لَانَهُ
كَانَ يَطْمَعُهُ سِرًّا فِي الْإِيمَانِ فَوَعَدَهُ بِالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّهُ كَانَ عَنْ نِفَاقٍ تَبَرَّأَ مِنْهُ. وَقَالَ
الْحَسَنُ: عَابَ اِ